نظرة في الصلات العربية الفارسية حتى مطلع الإسلام

الدكتور محمد التونجي

(2)

وكان من نتيجة اتجاه الحكم وجهة الشرق ان تأثر العرب بأساليب حكم الفرس ، وبمظاهر حياة جديدة اقوتهم جدتها وجدبهم لمعانها ، مما اضطر بعض خلفاء بني العباس خاصة الى التعرف على تاريخ الفرس والاطلاع على اخبار ملوكهم ومواعظ حكمائهم كجزء هام من ثقافة الخليفة او الامير . ولا زلنا نذكر ان المأمون حكم في بلاد فارس ردحا من الزمان، واستعان بالفرس على اخيه الامين في بغداد.

ولقد تطورت نظم الحياة الاجتماعية ومظاهر الحضارة ، وشاع الترف واللهو والطرب ، وتعددت الازياء والفرش والاثاث والآنية . وكان كثير من هذا غير معروف للعرب ، فسموها باسمائها الفارسية او اليونانية او الهندية .

ونحن اذا تصفحنا المعجمات العربية ــ وليس ذلك بعسير ــ وجدنا **عددا وافرا من المفردات كتب المؤلف عنها انها اعجمية او معربة او ان اصلها فارسي.** كذلك اذا نظرنا الى القواميس الفارسية وجدنا **اكثر من ثلث الفاظهم** ــ ولم اغال في ذلك ــ **عربية ومستخدمة في لغتهم الى اليوم .**

ولم يتوان العربي عن اخذ اية مفردة احتاج اليها من جارته ، وقد تجرأ على تغيير شكلها بحرية بشكل يلائم نطقها العربي ، فابدل الحرف بحرف يدنو من مخرجه ، ان لم يكن هذا الحرف نفسه ، لان نطقه في الفارسية لا يوازن نطقه في العربية ، فحور في الشكل ، ولاءم في المخرج .

وقد جرى هذا ، اما بابدال حرف مكان ءاخر ، واما بزيادة حرف او حرفين ، واما بتغيير البناء كله ليصير من ابنية العرب ويتمكن من الاشتقاق منه . وقد ينقص حرفا او يبدل في الحركات ، او يسكن ، او يحرك الساكن . وقد يتركه على حاله دون تغيير ان لم يحوجه الامر الى ذلك .

والجدير بالملاحظة ان **العربي اخذ اسماء ولم ياخذ افعالا او حروفا** ، وحينما احتاج الى افعالها اشتق ما حلا له وما شاء . فمن (لجام) قال : الجمت الفرس . ومن (مهر) : مهر الكتاب . ومن (ديوان): دون الحساب. ويمكن حصر هذه الاسماء ، فهي اما اسماء نبات او حيوان او معادن او ءالات او ماكولات او مشروبات او عادات مما لم يكن يعهدها العربي من قبل .

فكلمة (طبرزين) التي هي في الفارسية (تبرزين) اسم لسلاح ، كان يحمله الفارس الفارسي معه . وقد تكلمت به العرب . قال جرير

في رجل من بني كليب ، يقال له (مجيب) ، اتهم بقرفة ، فلم يلحقوا عليه شيئا فخلوا عنه :

كان مجيد الخبث تلقى يمينه
طبرزبن قين مقضبا للمفاصل

تداركه عفو المهاجر بعدما
دعا دعوة يا لهفه عند نائل

وكانوا يبدلون الحرف (ب) بثلاث نقط باء احيانا ، واحيانا اخرى فاء ، لان نطقه واقع بين الباء والفاء ، والثلاثة من الحروف الشفوية . فقالوا لـ (برند) فرند وافرند وبرند وهو السيف او جوهره. وكذلك قالوا لـ (بنكان) فنجان . ومثلها : الاصفهاني والاصبهاني وكلاهما واحد . وكذلك قلبوا الشين سينا . فقالوا للصحراء (دست) وفارسيتها (دشت) قال الاعشى :

قد علمت فارس وحميـر والـ
اعـراب بالدسـت ايكـم نـزلا

وحولوا كلمتي (بنفشه ولشكر) الى بنفسج وعسكر . اما حرف (الكاف الفارسي) فقد اكثر من تبديله وتحويله . فبعض الكلمات الفارسية قلبت كافها الفارسية الى كاف عربية مثل : (كردن : عنق) فقالوا لها: كردان . وقالوا لـ (الكنج) كنزا . وهنا حصل ابدالان ، فالقاف مكان الكاف والزاي مكان الجيم . وقد تبدل الكاف الفارسية فينا كما في غربال التي اصلها (كربال). اما تحول الكاف العربية والكاف الفارسية الى جيم وقاف ، فقد كان كثيرا مثال : لكام ــ لجام . كربه ــ قربق ، ويعربها بعضهم (كربج وكربق) ، وهي بمعنى دكان البقال قديما ، لاننا سنرى بعد اسطر انهم كانوا يبدلون الهاء جيما او قافا اذا كانت في اخر الكلمة .

اما الكلمات الفارسية التي تنتهي بهاء السكت فانهم بدلوها جيما ، فكلمة (بالوده) عربت الى (فالوذج)، وهي حلوى من الطحين والنشاء والشراب ، والعوام عندنا يلفظونها (بالوظا) لفظا تركيا . و(برده) عربوها الى (بردج) وهي السبي من الجواري او الغلمان . قال العجاج :

كما رايت في الملاء البردجا

وقالوا للقصر (جوسق) واصلها (جوسه) وقد تحولت في العامية الى (كشك) . وقد يبدلونها قافا كما في (باشه) وهو صقر الصيد ، قالوا له (باشق).

واذا اتى قبل الهاء حرف الدال فانهم يبدلونها بالدال فالجيم مثل : ساده ونموده، قالوا : ساذج ونموذج . وبدلوا التاء طاء ، فقالوا لـ (تازه) طازج .

وقد يزيدون على الكلمة حرفا او ينقصون منها حرفا ، فقالوا لـ (كليد) التي هي بمعنى المفتاح (مقليد) او (اقليد) . قال الراجز :

لم يؤذها الديك بصوت تغريده ولم تعالج غلقا باقليد

ونلاحظ انه لم يجتمع في كلمة عربية الجيم والقاف الا بحاجز ، ولا الصاد والجيم . وليس في ابنية العرب اسم فيه نون بعدها راء مثل : نرجس . ولا زاي بعد دال مثل : اندازه ، ثم ابدلوا الزاي سينا فصارت هندسة. كما انه ليس في العربية كلمة مبنية من باء وسين وتاء ، واذا وجدنا كلمة رباعية او خماسية وليس فيها حرف او حرفان من حروف الزلاقة ، وهي ثلاثة من طرف اللسان : الراء والنون واللام ، وثلاثة من الشفة وهي : الفاء والباء والميم ، فالكلمة ليست عربية مثل : صهريج وشبارق وهو فلذات اللحم التي تقطع للطبيخ .

كما كان **يتم التاثر عن طريق الجواري او الاميرات الفارسيات** اللواتي انتقلن الى البيت العربي فكان لابد لهن من ان تؤثر لغتهن وعاداتهن في ازواجهن واولادهن ، وكم عشق الشعراء هؤلاء الجواري وكم نظموا فيهن . فلقد اهدى الوليد بن يزيد ابن ميادة الشاعر جارية طبرستانية رائعة الجمال ، كان نقصها الوحيد في نظره انها لا تحسن العربية ، فقال فيها :

باهلي ما لذلك عند نفسي
لو انك بالكلام تعربينا !

ويتبدى هذا التاثر بواسطة الاسر الفارسية التي هاجرت من ايران الى البلاد العربية ، كما حصل لوالد المهلب الذي هجر بلاده ، وسافر الى عمان ، فطلق ديانته الزردشتية ، واسلم وجعل اسمه ابا صفرة. والعرب اذا كانوا ياخذون اللفظة للحاجة ، فقد اخذوها للتفكه ، كقول ابي المهدي :

يقولون لي شنبل ، ولست مشنبلا
طوال الليالي او يزول ثبير

ولا قائلا زوذا ليعجل صاحبي
وبستان في صدري علي كبير

وشنبذ : من الكلمة الفارسية شنبه اي يوم السبت . وزوذا من زود معناها عجل . وبستان : خذ . او ياخذونها للتفاصح بمعرفتهم الفارسية ، كما نجد الامثال الكثيرة على ذلك فى كتابي : يتيمة الدهر ودمية القصر .

وعلى هذا فقد **تاثر العرب بالفرس لغويا كما تاثروا بالامم المجاورة** ، على ان تاثرهم بالفرس اكثر واوسع نطاقا . وقد جرت **هذه الالفاظ الى العربية فى ازمان متفاوتة** . فلم تزحمهم كثرتها ولم يعقهم نطقها . ومن الحق ان نقول **ان للفارسية فضل رأب الحاجة الحضارية وسد النقص اللغوي الذى تطلبه العصر الجديد بعد الفتح** ، فدخلت فى قرآننا ، وشعرنا ، ونثرنا ، وامثالنا .

واذا كنا تاثرنا بهم حكما وسياسة وتابعية ودينا ولغة قبل الاسلام ، فاننا اثرنا باستقلالهم واديانهم وعاداتهم ولغاتهم بعد الاسلام ، ولما ضاع استقلالهم ، واندمجوا فى دولة الاسلام التى قادها العرب ، ولما ضاعت اديانهم وذابوا فى الديانة الاسلامية ، انغمسوا فى اللغة العربية وعاداتها وعاداتها .

وكنا ذكرنا فى مقالنا السابق ان **الاثر العربي الاول فى الفارسية كان فى تغيير الخط البهلوي الصعب بالخط العربي السهل** .

على اننا لا نلبث نراهم يقتبسون الالفاظ الدينية لتتبعها الالفاظ العلمية ثم الالفاظ الادبية . ورغم ان **اللغة العربية هيمنت على الارض الفارسية** ، ورغم ان القرون الثلاثة الاولى كانت العربية لغة العلم فيها، فان العربية لم تستطع ان تمحو الفارسية تماما . فقد ظلت متداولة بين الناس على الاقل ، ويبين الشعراء لحاجتهم الى القوافي ، ولا يمكنهم استخدام الالفاظ الفارسية فى القافية دائما لان الفاظهم غير كافية لذلك . ويكفي ان ينظر المرء فى ديوان فارسي ليجد ان ثمانية بالمئة تقريبا من الفاظ القوافي عربية .

ولقد **بدا الفرس فى مقاومة العربية منذ القرن الرابع** ، فقد خاطبهم ان تكون العربية رائجة كل هذا الرواج فى بلادهم ، وان يكون العرب حكاما لهم ، واول هذه المقاومات كان استقلال الدويلات الفارسية فى مناطقها ، وتشجيع الشعراء الفرس على نظم القصائد الحماسية والقومية . فقام شعراء ينظمون الشاهنامات ، ويتعمدون الاقلال من ذكر الالفاظ العربية . وقام ادباء يحضون على الكتابة الفارسية — غير ان هاتين الطبقتين لم تستطيعا الحد من التاثر اللغوي للحاجة الماسة الى كل ما دخل من الفاظ، حتى انهم انفسهم استخدموا الالفاظ العربية فى موضوعاتهم الحماسية والقومية هذه .

وكما دخلت القرءان الكريم الفاظ فارسية فقد **دخل الحياة العربية كثير من الفاظ دالة على الزينة والترف** مما لم يكونوا راوها ، كما راوا من تنظيم الحكومة وتدوين الدواوين ما لم يخطر لهم على بال. فاضطروا ان يقتبسوا من الامم المفتوحة الفاظا يدخلونها فى لغتهم ، وكانت اللغة الفارسية اقرب نبع يستقون منه ما يحتاجون .

— فمن اسماء الازهار الفارسية : النرجس. البنفسج . النسرين . الخيرى . السوسن. الجلنار. الارجوان .

— ومن الطيب : المسك . العنبر . الكافور . الصندل . القرنفل .

— ومن الاطعمة : السميد . الكمك . السكباج. الدجاج . الكبة . الخربز وهو البطيخ . الفستق .

ومن الحلوى : الفالوذج (وعربت الى البالوظة). الجوزينج . اللوزنيج . الزرده . الجلاب .

— ومن التوابل : الفلفل . الزنجبيل . القرفة. الكراوية (وهي الاكلة المعروفة فى دمشق خاصة) .

— ومن المفردات الحضارية: مهندس. روزنامة. نرد. برسيس (برجيس) . طربوش . بابوج . كوز ابريق . طست . خوان . طبق ، كاسة (عربت الى قصعة) . خز . ديباج . سندس . لجام . غربال . كردان . ساذج . طازج . نموذج . برنامج . سمسار دهقان . صولجان . فنجان . نيزك . زنديق . بازار.

— ومن مفردات الدواوين : مهر . ديوان .

— ومن الاسلحة والحرب : سبهبد وهو كالامير والقائد عند العرب . درفش (علم) . طبرزين . جند . عسكر . لجام . صولجان .

— ومن الحيوانات : شاهين . باشق . جاموس جؤذر (كاونر) . ذئب .

ولقد عمد العربي الى ما خف على اللسان ، واستعذبت الاذن جرسه ، وان كان عنده اسم لها، فاستعار : مسك . توت . رصاص . ميزاب .

مكان : مشموم . فرصاد . صرفان . مشعب .

ـ كما اخذوا بعض التراكيب منها :

ـ جلاب (ماء الورد) . ميزاب (سيل ماء) . سرداب (الماء البارد) سراب (راس الماء) . زركشة (التطريز بالذهب) .

ـ كما استعملنا في عاميتنا عددا كبيرا من الالفاظ كانت الخلافة العثمانية سببا هاما في نقل بعضها لان اللغة الرسمية في بلاط استانبول كانت اللغة الفارسية :

كبة . كفتة . نازيك . سيخ . كباب . كفكير . بشكير . خولية . عرموط . جادة . جاكوج . بوقالة . تهنا . بقلاوة . ارمغان . برشت . كشتبان . باروج . طربوش .

ولقد استخدم الادباء العرب الكلمات الفارسية في تراكيبهم . من ذلك قول الجاحظ في البخلاء : « ويسكروا الدرياجة على صغار السمك » . والدرياجة هي البحيرة ، و (سكر) كلمة سريانية . وكان الاخفش يقول لتلاميذه : لا تقولوا عندي كلمة هم وبس . وهكذا لا تقولوا لفلان بخت . وفي حديث مجاهد : يغدو الشيطان بقيروانه الى السوق . وقيروان معربة عن كاروان معناها القافلة .

اما المفردات العربية التي استخدمها الفرس في لغتهم ، فقد كانت في كل باب . اذ انهم اخذوا :

ـ مفردات دينية : زكاة . حج . مسلم . مؤمن . كافر . منافق . فاسق . حنث . خبيث . قرءان . اقامة . تيمم . متعة . طلاق . زواج . قبلة محراب . منارة . ابليس ـ زقوم . سلسبيل . حلال . حرام . بركة .

ـ ومفردات في الادارة والسياسة : خليفة . ملك . امير . وزير . حاجب . قاض . غلط . خطا . عارية . نصح . فضيحة . جلاد . سياف . مستخدم

ـ ومفردات الدواوين : كتاب . حبر . قلم . مداد . خط . درس . فصل . باب . الاعداد حتى العشرة .

ـ ومفردات الالبسة : جبة . ازار . لحاف . مخدة . طراز . رداء .

ـ ومن اسماء الاطيار : فاختة . قمري . بلبل . لقلق . غراب .

ـ ومن اسماء ادوات الزينة : حناء . غالية . بخور .

ـ ومن اسماء البلاد والافلاك : بلد . صحراء . طبيعة . بركة . حوض . سهيل . فلك . مشرق . مغرب . شمال . جنوب . طالع . صبا : دبور .

ـ ومن اسماء اصحاب المهن : خياط . قصاب . بيطار . بقال . صراف . دلال .

ـ واسماء خاصة بالاطعمة واللهو : قمار . سفرة . قنينة . شراب . خمرة . غذاء . حلواء . هريسة . قطائف . قلية . نقل .

ـ واسماء في الحرب : حرب . جهاد . علم . طبل . عرادة . منجنيق . ركاب . لواء . نصل . دبوس . حربة . حلقة . قفل .

ـ واوصافها : نبيل . لطيف . ظريف . عاشق . شاعر . كاتب . وفاء . احمق . جاهل .

ـ كما اخذوا تراكيب وافعالا ، واعتبروها بشكل مفرد :

سرحدات : راس الحدود . فهميدم : فهمت (من الفهم) .

مرد لا ابالي : رجل مهمل . زمين لا يزرع : ارض لا يمكن زرعها . بالاضافة الى عشرات المفردات التاريخية . وعشرات المفردات الجغرافية ، وكذلك الطبية والفلكية . واذا طالعنا نثرا او شعرا فارسيا وجدنا ان النسبة المائوية للمفردات العربية تبلغ احيانا 45 او 50 ٪ ، واذا سعى الاديب ان يقل من الالفاظ العربية ، فانه لا يمكنه ان يستغني عن 20 ٪ من المفردات العربية .

والجدير بالملاحظة ان اغلب الالفاظ العربية التي دخلت الفارسية بقيت محفوظة على شكلها الذي اخذوه لعدم وجود الاشتقاق عندهم ، اما اللفظة الفارسية التي دخلت العربية فانها صهرت بالعربية واشتقوا منها حتى ضاع اصلها على المطالع . وربما قيض الله يوما لائمة اللغة من الامتين تجمعهم حمية العلم وفريضة الادب ليتحلقوا حول الدواوين والمعجمات سنوات ليصفوا ما لنا وما علينا ، وما احسب ان الامر يسير ، لما حدث من تلاحم واندماج ، بل لما هنالك من تشابهات وصدف . وهل اخذت اللفظة من العربية ام من العبرية ام من السريانية . ومن ناحية ثانية هل

اخذت من البهلوية ام السنسكريتية ام الفارسية الدرية ؟ .

ملاحظة اخرى جديرة بالانتباة تدل على **مدى التبادل اللغوي بين الامتين** . ذلك ان **العرب استخدموا اسماء فارسية لمسميات ، في حين ان الفرس استخدموا اسماءها العربية** . وقد حصل هذا في العصر الحديث خاصة :

فنحن نقول روزنامة ومعناها (كتاب اليوم) والفرس يستخدمون (تقويم)

ونحن نقول كهرباء ومعناها (جاذب القش) والفرس يستخدمون (برق)

ونحن نقول دستور ومعناها (قانون) والفرس يستخدمون (قانون)

ونحن نقول اركيلة ـ نارکيلة ومعناها (جوز الهند) والفرس يستخدمون (غليان)

ونحن نقول كنار ومعناها (طرف) والفرس يستخدمون (حاشية)

ونحن نقول كاسة ومعناها (زبدية) والفرس يستخدمون (باطية)

ونحن نقول دستور ومعناها (القانون الاساسي) والفرس يستخدمون (مشروطة)

ونحن نقول شرشف ومعناها (غطاء الليل) والفرس يستخدمون (ملاءة اي ملحفة)

ونحن نقول خرضة ومعناها (القراضة والاشياء الدقيقة) والفرس يستخدمون (خرزة)

ونحن نقول بخشيش ومعناها (الانعام) والفرس يستخدمون (انعام)

وقد اخذ العرب اسماء فارسية وتسموا بها مثل : قابوس وهو معرب عن (كاووس) . وقد لقب بها النعمان بن المنذر . ومن النساء دختنوش ، وهو اسم بنت لقيط بن زرارة وهو معرب عن (دخت نوش) .

كما اننا نلاحظ وجود **مدن عربية اسماؤها فارسية** مثل : بغداد ومعناها اعطى الصنم او الله المعطي . البصرة ومعناها بعد الطريق وكانت (بس راه) . الانبار ومعناها المخزن ثم حورت الى عنبر . القيروان ومعناها القافلة . ونجد عددا من القرى والنواحي حول دمشق اسماؤها فارسية مثل : مزة ، كيوان ، برامكة ، بلودان . زبداني . جرجانية . وقد تكون هذه التسميات اطلقها النازحون من بلاد فارس الى بلاد الشام .

وقد استعملنا اعلاما فارسية حديثة مثل : شيرين . مهتاب . شهرزاد . شهناز . سوزان . كيتي . مهيار . فرهود . جهان . فرزان . وقد تكون هذه الاسماء اسماء غلمان وجوار وقد نكون استخدمناها تحببا برقتها .

واذا دخلت الاعلام الفارسية . فان **اغلب اسماء الفرس كانت عربية او مركبة مع العربية** . فقد تاثرت الاعلام الفارسية بالاسلام فاستقوا من الدين الاسلامي ، ومن المذهب الجعفري خاصة هذه الاعلام . فمنها : خير الله . شكر الله . وقد تكون هذه الاعلام غير مستعملة عند العرب مثل : ذبيح الله ، قدرة الله ، يد الله . وقد يركب العلم من كلمة فارسية وكلمة عربية مثل : خدا مراد . خدا رحم . خدا كرم . وقد يستخدمون اسماء الانبياء واسماء ءال البيت مثل : عبد . محمد . عبد الرسول . عبد النبي . وقد يتغير اسم محمد الى ممد ، واسم محمد علي الى ممد لي . ويسمون كلثوم فيقولون لها كرسوم .

ثم هناك : علي . حسن . حسين . باقر . صادق . اصغر . كاظم . رضا . تقي . نقي . وقد يحرفون بعضها فيقولون لزين العابدين زينل او زنيل لابدين . وقد يركبونها او يدخلون عليها لفظة (عبد) : عبد الحسين . على اصغر . عبد الرضا . غلامحسين . غلامعلي . كما ادخلوا عليها اسماء الاشهر الهجرية فقالوا : صفر علي . رجب علي . رمضان حسين .

وقد **تاثرنا باعيادهم التقليدية القديمة** ، واهمها النوروز والمهرجان . وبالرغم من ان الامويين لم يتعمدوا التاثر بالاعياد الفارسية . فانها اخذت تتسرب الى العرب بدون استئذان ، حتى اذا كان العصر العباسي نقلوا الينا الكثير من عاداتهم ، والتي كان لها النفع الكبير لمحبي اللهو والطرب ، والاثر في الادب العربي .

ونوروز ومعناها اليوم الجديد اي عيد راس السنة ، ويأتي في 21 ءاذار من كل عام ، ويعتبر اول الربيع ، وهو اعظم اعيادهم . اما المهرجان ولفظه الفارسي مهركان ، فهو عيد الخريف ، ويبدأ في اول الخريف ، واوله 23 ايلول . واهم امر في هذين

العيدين اهداء الملابس والاموال الى الشعب وتقديم الاطعمة المنوعة . يحكى انه قدم لسيدنا علي كرم الله وجهم طعام فارسي ، فاحبه وسأل : ما هذا ؟ قالوا : هو النوروز . فقال : نورزونا كل يوم . كما يحكى ان الحجاج اول من رسم هدايا النوروز والمهرجان في الاسلام ، وابطلها عمر بن عبد العزيز . وشاعت في العصر العباسي اذ كان الامراء يوزعون البستهم على حاشيتهم ، كما كان يفعل الاكاسرة . وصار من الشائع ان نسمع عن النوروز في الشعر ، كما في قول البحتري وهو يصف الربيع :

اتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد ان يتكلما

وقد نبه النيروز في غسق الدجى
اوائل ورد كن بالامس نوما

وقد مدح المتنبي ابن العميد وهو يهنئه بعيد النوروز بقوله :

جاء نوروزنا وانت مراده
وورت بالذى اراد زناده

عظمته ممالك الفرس حتى
كل ايام عامه حساده

ووصف ابن الرومي عيد المهرجان حينما هنأ عبيد الله بن عبد الله به فقال :

ما رات مثل مهرجانك عينا
اردشير ولا انو شروان

مهرجان كانما صورته
كيف شاءت مخيرات الامانى

اما **الحركة الادبية فقد حصل فيها تبادل تام بين الامتين** : ولكن هذه الصلة وهذا التبادل يقل ظهورهما في الجاهلية ، الا ما ذكرنا من الفاظ وصور. واذا بقي الشعر الجاهلي الى اليوم واستطعنا تمييز ما اقتبسوه من الفرس ، فان الادب الفارسي ضاع قبل الاسلام ، فلم نعد نعرف بماذا تأثر العرب وبماذا اثر العرب .

على اننا عندما نقول الادب الفارسي فانما نعني الادب الذى يظهر بعد الاسلام ، وبعد ان ترعرع ونشأ في حقل الادب العربي ، وبعد ان غذته اللغة العربية والثقافة الاسلامية بجملها وتراكيبها وامثالها واساليبها وبلاغتها .

واذا طالعنا **كتبهم الادبية وجدناها زاخرة بالاقاصيص العربية والحكايات الشهيرة** كحكايات حاتم الطائي ولقمان الحكيم وقيس وليلى . ومن اهم هذه الكتب : كلستان . بوستان . منطق الطير . قابوسنامه . كما انهم اقتبسوا من القرءان والحديث وقصائد الشعراء المشهورين كالمتنبي والمعري ، وكذلك تاثروا بالمقامات . والفوا على منوالها في القرن السادس الهجري . على انهم اذا بداوا مقلدين لمذاهب واغراض الادب والشعر فانهم ما لبثوا ان تخطوا مراحل تجديدية ومبتكرة لدرجة انروا فيها بالادب العربي والهندي والتركي .

اما **الادب العربي فقد تاثر بدوره بالادب الفارسي وثقافته** ، ذلك ان **كثيرا ممن دخلوا في الاسلام اضطروا الى تعلم اللغة العربية** ، وسرعان ما ظهر منهم ومن نسلهم **كتاب وشعراء بالعربية** في حين ان نطقهم للحروف العربية لم يكن سليما — في بادىء الامر — ومن اقدم هؤلاء : زياد الاعجم ، اسماعيل بن يسار النسائي . ابو العباس الاعمى . موسى شهوات. فهؤلاء وغيرهم نشاوا نشأة فارسية، وتادبوا بالاداب الفارسية ثم صاغوا ادبهم بالقالب العربي فاحكموا التقليد اذ ان الفاظهم عربية وتراكيبهم عربية واوزانهم عربية ، وكان الخيال الفارسي ، والروح الفارسية ، والمعاني الفارسية بادية في شعرهم العربي الذى يصوغونه .

وعندما كان الشاعر الفارسي يفخر بقومه على العرب ، كان يستوحي من تراث اجداده ما يقدر ويتخيل ما كانوا فيعرضه بشكل تفاخر ، كقول اسماعيل :

رب خال متوج لي وعم
ما جد مجتدى كريم النصاب

انما سمي الفوارس بالفر
س ، مضاهاة رفعة الانساب

فاتركي الفخر يا امام علينا
واتركي الجور وانطقي بالصواب

واسالي — ان جهلت — عنا وعنكم
كيف كنا في سالف الاحقاب

اذ نربي بناتنا وتدسو
ن سفاها بناتكم في التراب

وكان اشعب في السامعين ، فقال له : صدقت والله ، اراد العرب بناتهم لغير ما اردتموهن له . قال

اسماعيل : وما ذلك ؟ . قال الشعب : دفن العرب بناتهم خوفا من العار ، وربيتموهن لتنكحوهن ، (ويقصد انهم كانوا يتزوجون بناتهم) . فضحك القوم وخجل اسماعيل .

ومع قلة ما وصلنا ، فقد استفاد من ذلك الادب قدماؤنا فكثيرا ما يقول ابن قتيبة في عيون الاخبار: وفي كتب العجم كذا ، وقرات كتاب ابرويز الى ابنه شيرويه . وكثيرا ما ينقل صاحب التاج اشياء عن اخلاق ملوك الفرس وعاداتهم وكتبهم .

كما ان كثيرا من الشعراء والادباء من العرب كانوا ينزلون فارس او العراق ، ويخالطون اهله ، ويرون مدنيته ، ويكون لذلك اثر في ادبهم وفي شعرهم . فقد نزل الطرماح وابو النجم الراجز وجرير والفرزدق العراق ، وابو تمام والمتنبي فارس. وقد كان الفرس شديدي الاعجاب بالشعر العربي فكانوا يتوخون محاكاته في كل اشكاله واغراضه .

فالموضوعات التي نظموا فيها ، بعضها تابع لموضوعات العرب **كالمديح والفخر والهجاء والغزل والرثاء والوصف والحكمة** ، وتفوقوا في **موضوعات الحماسة والقصص ووصف الطبيعة** . وقد قلدوا العرب في وصف الاطلال مع انه عربي خالص كالشاعر منوجهري في القرن الخامس الهجري وهو اول من قلد الاطلال . كما قلدوهم في بكاء الديار والآثار كما فعل خاقاني في وصف ايوان كسرى الذي سبقه البحتري بقرون في وصفه . وكذا بكى حميد الدين البلخي مدينة بلخ عندما خربها الغز سنة 548 هـ . كما انهم غالوا في الموضوعات الشعرية التي اخذوها من العرب كالمديح والخمرة والغزل . وبرعوا في الشعر القصصي، وتجلت براعتهم في نظر الفردوسي للشاهنامة التي يزيد عدد ابياتها على خمس وخمسين الفا من الابيات على بحر واحد هو المتقارب . ثم هناك يوسف وزليخا ، خسرو وشيرين ، ليلى والمجنون .

والتصوف من الموضوعات التي تاثر العرب بها واهم الشعراء المتصوفين الفرس جلال الدين الرومي وحافظ الشيرازي . اما الاوزان والقوافي فقد نشا العروض الفارسي في احضان العروض العربي وفي دوائره وبحوره واصطلاحاته وقوافيه . الا ان الفرس غايروا بعض الاوزان العربية لانها اكثر طواعية للغتهم واقرب الى انطباعهم ، واضافوا ثلاثة ابحر وهجروا بعضها ، واكثروا من المثنوي اي الشعر مزدوج القافية بين الشطرين . كما اخترعوا الرباعيات ونظموا بها قبل الخيام وقبل العرب . وخالفوا الموشحات العربية بموشحات سموها ترجيع بند منذ اوائل القرن الخامس الهجري .

ومن الشعراء العرب الذين تاثروا بالصور الفارسية : الكميت . المتنابي . الفرزدق . البحتري ابو تمام . المتنبي . المعري . وتورد بعض الكتب الادبية قطعا وابياتا تشير الى انها مقتبسة عن الشعر الفارسي كالبيان والتبيين للجاحظ ، ويتيمة الدهر لابن قتيبة ودمية القصر للباخرزي . على ان المجال الضيق لايسمح لنا باستعراض نماذج من ذلك. ونذكر ان ابا نواس له قصائد فارسية لا يعرفها الادباء العرب ، سميناها (فارسيات ابي نواس) .

وما يقال عن الادب والشعر والعروض يقال عن البلاغة ، فقد كانت **قواعد الاسلوب الادبي الفارسي مطابقة تماما لقواعد الاسلوب العربي** من حيث الايجاز والاطناب والتشبيهات والاستعارات . كما ظهر نوع من الشعراء زادوا من التبادل الثقافي ، لانهم نظموا باللغتين فسموا (ذو يالسانين) .

ويحسن ان اتوقف لحظات عند الخمرة والغزل المكشوف قبل ان اختم الموضوعات الشعرية . فالخمرة كانت معروفة في الجاهلية ، تاجروا بها ، وشربوها ، وحرمها القرءان ، ووصفها الشعراء . وازدادت مع الزمان حتى بلغت اوجها في الاتساع والجراة في العصر العباسي . وعلى هذا فالشعراء العرب الذين وصفوا الخمرة لم يقتبسوا من الشعراء الفرس لسبب بسيط هو ان ميلاد الشعر الفارسي لم يبدا قبل اواخر القرن الثالث الهجري ، ونعلم ان الاخطل وبشارا وابا نواس ومن لف لفهم عاشوا وماتوا قبل ذلك بكثير . ولكننا نقول ان الترف الذي عرفه العرب عند تماسهم بالفرس فسح الطريق لمثل هذا اللهو اكثر .

والغزل المكشوف كان معروفا كذلك عند امريء القيس والنابغة والاعشى منذ الجاهلية ، وعند الاخطل وعمر والوليد وغيرهم في العصر الاموي . وبزداد الغزل المكشوف حرية حتى يبلغ العصر العباسي عند بشار وابي نواس واسماعيل بن يسار وغيرهم . ولم يتاثر الشعراء العرب بالغزل الفارسي للسبب الذي ذكرناه في الخمرة، ولكنهم تاثروا بالحضارة الفارسية التي زادت من جهة هذه الجراة في الكشف . اما الغزل الغلامي فالجاهلية لم تعرفه

ولا القرن الاول ، ولكن جاء به الترف والحضارة الجديدة وكثرة الغلمان والسقاة . على ان الفرس ليس عندهم ضمير خاص بالمؤنث وضمير خاص بالمذكر ، فالضمير لكليهما واحد ، وكذا الامر في المخاطب والمخاطبة واسم الاشارة ، لذا فاذا نادى الفارسي لم يعرف السامع هل المنادى مذكر ام مؤنث، على ان هذا ليس دفاعا عن الفرس فهذا هو الواقع ، كما ان الفرس لم يقولوا الشعر قبل رواج الغزل الغلامي ، وبعدئذ برعوا فيه ، انما الحضارة وكثرة الغلمان والترف هي التي ساقت الشاعر والحياة الى هذا اللون من الغزل . وجدير بالملاحظة ان العرب في الطرف الغربي من الامبراطورية العربية لم يفعلوا فعل الشرقيين في الغزل المكشوف والغزل الغلامي .

وما يقال عن كل ما مضى من تبادل في التاثر والتاثير نقوله عن القصص والحكايات ، فقد تاثرنا باساطيرهم وحكاياتهم واثرنا بهم في حكاياتنا وقصص قرءاننا . وكذا استفاد الفرس من الامثلة العربية ، كما استفاد العرب من الامثال الفارسية .

وتعتبر العقائد من اكثر الامور تاثيرا في الامم وفي ءادابها . فقد عرف العرب في الجاهلية الزردشتية وهي المجوسية ، والمانوية ، والمزدكية . وقد تجلى ذلك بتقديس العرب للنار المقدسة عند المجوس بحلفهم بها وبوصفها ، كما عبد بعض العرب الشمس وهي من عناصر الطبيعة التي عبدها الفرس والشرق ، وبدا كل ذلك في شعرهم . ونجد بقايا ذلك في اشعار الشعراء بعد الاسلام كبشار والمعري والمتنبي وابي تمام . ولا ادل على تاثرهم بالاديان الفارسية من قول ابن قتيبة في كتابه (المعارف) ، عند كلامه على اديان العرب في الجاهلية : « وكانت النصرانية في ربيعة وغسان ، وبعض قضاعة . وكانت اليهودية في حمير وبني كنانة وبني الحارث ابن كعب وكنده ، وكانت المجوسية في تميم ، وكانت الزندقة في قريش . اخذوها عن الحيرة » . وقد رفض المنذر الثالث اعتناق المزدكية فعزله قباذ وعين مكانه الحارث ابن عمرو امير كندة بعد ان اعتنق المزدكية .

وقد تاثر الاسلام بالزردشتية كما يقول احمد امين بعقيدة العامة من المسلمين في بعض الامور ، كما تاثرت المعتزلة بمسالة الجبر والاختيار . ومن الجدير بالذكر ان الاعاجم عندما دخلوا الاسلام كانوا على دين خاص ورثوه عن اجدادهم ، ولم تمح من مخيلتهم هلائم دينهم القديم فاضافوها على ما يتعلمونه من الدين الاسلامي .

ووجود الزندقة ، وبقايا المجوسية خلق حركة فكرية ومعركة ادبية جديدة ممثلة في مدارس علماء الكلام واهمهم المعتزلة . وقد الفوا الكتب ضد هؤلاء الزنادقة ، ونظم الشعراء القصائد في الرد عليهم او مشاركتهم ءاراءهم . ومن اهم من الف في هذا المضمار واصل بن عطاء في كتابه (الالف مسالة) للرد على المانوية . والجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) .

ورغم كل ذلك فقد ازال العرب من ارض فارس تلك الديانات التي وزعتهم فرقا ، وشتتتهم مزقا ، فجمعتهم تحت راية التوحيد ، الطاهرة ، وحررتهم من النظم الاجتماعية والطبقة الفاسدة .

وقد تبع هذه الحركة الفكرية ، حركة ادبية قريبة الشبه منها وفي مسالة تفاخر الموالي على العرب ، ورد العرب مزاعم الموالي الشعوبيين . ومهما كانت النتائج ونوعية الخصام فقد نتج عن ذلك تبادل ثقافي تام الاركان فيه التاريخ والفلسفة ، وفيه الشعر والنثر ، وفيه التاليف الواسعة ، والاطلاع على الفلسفة . ومهما غشت هذه الحركة من مزاعم يشوبها الخطا ، فان نتيجتها الادبية والفكرية الجديدة واقعة على الادبين العربي والفارسي على السواء .

ولقد كانت حركة المناواة شديدة في العصر الاموي، وتضعف الحدة ويتسع نطاقها الادبي كلما دنونا من العصر العباسي او خطونا فيه . ولقد شرقت قصور الخلفاء العباسيين بالموالي رجالا ونساء وغلمانا وغصت الجيوش بهم .

واذا كان الموالي يتخوفون من الرد على الشعراء العرب في العصر الاموي فانهم لم يتورعوا عن التفاخر بجدودهم امام خلفاء العصر العباسي ، وها هو الشاعر المتوكلي ، شاعر المتوكل ونديمه يقول :

انا ابن المكارم من نسل جم
وحائز ارث ملوك العجم

ومحيي الذي باد من عزهم
وعفى عليه طول القدم

الى ان يقول :

فعودا الى ارضكم بالحجاز
لاكل الضباب ورعي الغنم

فاني ساعلو سريـــر الملـــوك
بحد الحســـام وحـــرف القـــلم

ويتهجم ابو نواس على العرب بوسيلة اخرى ، هي تهكمه الكثير بطريقة العرب في التقديم لقصائدهم بالغزل وبكاء الاطلال ، ودعوته الملحة الى بدء القصائد بالخمريات . ولا يمكننا ـ كعرب ـ ان نعتبره تجديدا في الادب لان ابا نواس احاط رغبته هذه بالسخرية والوضع من قواعد الشعر العربية ، وقد كان يستطيع ان يجدد بغير تندر ، كما في قوله :

عاج الشقي على دار يسائلها
وعجبت اسال عن خمارة البلـد

دع ذا ، عدمتك ، واشربها معتقة
صفراء تعتق بين الماء والزبـد

كم بين من يشتري خمرا يلذ بها
وبين باك على نـؤى ومنتضـد

اما التجديد الحق ، فهو الذي قام به المتنبي، حينما عجب من الشعراء المتكلفين للحب ، اذا افتتحوا مدائحهم بالغزل ، فقال صادقا :

اذا كان مدح فالنسيب المقـدم
اكل فصيح قال شعرا متيـم ؟

لحب ابن عبد الله اولـى فانـه
به يبدأ الذكر الجميـل ويختـم

على ان الامر لم يقف في هذه المعركة على الشعر بل انبرى الطرفان بتاليف كتب في هذا المضمـار. فمن الكتب التي الفت انتصارا للشعوبيين من الموالي:

ـ فضل العجم على العرب وانتصار العجم من العرب . تاليف : سعيد بن حميد البختكان .

ـ ادعياء العرب . لصوص العرب . فضائـل الفرس . تاليف : ابي عبيدة معمر ابن المثنى .

ـ المثالب . تاليف : علان الفارسي . المثالب الكبير والمثالب الصغير. تاليف : الهيثم بن عدي .

ومن الخير للطرفين ان هذه الكتب فقـدت ، ولم يبق بين ايدينا الا الاسـم ، والا النـزر القليـل منتشرة في كتب الادب وعيون اخبارها . ومن اهم الكتب التي ردت على مزاعمهم :

ـ العرب ـ لابن قتيبـة . البيـان والتبيـين للجاحظ .

وقد امتدت حركة الشعوبية الى ارض الاندلس بلون ءاخر ، فقد الف ابن فرسية رسالة في التهجـم على العرب ، فرد عليه عدد من الادباء منهم : يحيى ابن مسعدة وابو جعفر احمد البلنسي .

كما ان الموالي ناهضوا افكارهم بتلفيق احاديث مكذوبة على لسان النبي (صلى الله عليه وسلم) . من ذلك : لا تسبوا فارسيا ، فما سبه احد الا انتقم منه عاجلا او ءاجلا » . كذلك اخترع العرب احاديث ترفع من قيمة العرب وتحط بالعجم ، من ذلـك : « من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ، ولم تنلـه مودتي » . على ان هذه الحركة لم تنفع التبادل الثقافي ولم تنفع الحركات الادبية بل ضرتها . كما ان انتصار الموالي للرواة الفرس كابي عبيدة، وانتصـار العرب للرواة العرب كالاصمعي لم يات بالنفع بـل اتى بالضرر . ومن اجمـل الـردود على مزاعمهـم الشعوبية قول المتنبي :

وانمـا النـاس بالملـوك ومـا
تفلـح عـرب ملوكهـا عـجـم

لا ادب عنـدهـم ولا حسـب
ولا عهـــود لهـم ولا ذمـــم

اما الحكم والامثال : فالانسان مع انه يغمـض عينيه اذا سمع حكمة فانه ينصت اليها ويميل الى الاستفادة منها والاستشهاد بها . ولقد كان للفـرس اثر كبير في الاخلاق الساميـة والآداب من ناحيـة حكمهم . ذلك ان الاخلاق الاسلاميـة تاثرت بثلاثـة مؤثرات :

1 ـ بالتعاليم الدينية التي وردت في القرءان والاثر ، ومن الانجيل والتوراة .

2 ـ بالفلسفة اليونانية التي نقلت في العصـر العباسي .

3 ـ وثالثا بحكم واقاسيص الفرس او ما نقل بواسطتهم عن الهندية ، بما نقل عن الملوك والوزراء ورجال الاديان الفارسية ووعاظهم . وقد ملئت كتب الادب بها، ومن اهم الكتب التي ملئت بامثـال هـذه الحكم، عيون الاخبار، سراج الملوك ، وكتب الجاحظ وابي حيان . العقد الفريد.

ومن جملة الامثال الفارسية التي عرفها العرب واستخدموها :

ـ اذا جاء البعير حام حول البير .

ـ سألوا الثعاب اين شاهدك ؟ قال : ذنبي .

ـ احذروا صولة الكريم اذا جاع ، واللئيم اذا شبـــع .

ـ اذا اردت ان يقبل قولك فصحح رايـك ولا تشوبنه بشيء من الهوى . فان الراي الصحيح يقبله منك العدو ، والهوى يرده عنك الولد والصديق .

ـ اذا كلمك الوالـي فاصـغ الى كلامـه ، ولا تشغل طرفك عنه بنظرة الى غيره ، ولا اطرافك بعمل ولا قلبك بحديث نفسي .

ـ استح الحياء كله من ان تخبر صاحبك انك عالم وانه جاهل ، مصرحا او معرضا. الى غير ذلك مما تزخر به كتب الادب والحكم .

على ان **الفرس اخذوا حكمهم كذلك من القرءان والحديث ومن حكم حاتم ولقمان والمتنبـي والمعـري** وغيرهم واستفادوا منها بعد الاسلام .

ومن اهم الامـور التـي ادخلت العربيـة في الفارسية ، والفارسية في العربيـة **التـــرف** ، والجواري خاصة من اسباب الترف . فلقد ادخـل نظام التسري الى الاسر العربيـة عادات وتقاليـد والوانا من الامور الاجتماعية ، وفنونا وموسيقا مـا كانت معروفة عندهم انما جاء بها هؤلاء الجواري من بلادهم .

ولقد كان العربي يشتري القينة لفن تجيده ، والشعراء كان عندهم قينات ، وافرموا بهن وعرفوا منهن اسماء الآلات الموسيقية والازهـار ورقة الغناء والوان الطعام . كان كل ذلك ينابيع للشعراء علـى تاوين شعرهم وتطعيمه باوصاف وتشبيهات لم تكن عربية . واذا استهجن الأمويون ابناء الاماء فان اغلب امهات الخلفاء العباسيين كن اماء وقينات فارسيات وغير فارسيات .

وختاما لحديثي ، انه لمن الخطا والغلو ـ كمـا يقول احمد امين ـ أن نعتبر ان العرب كانوا بمعـزل عما حولهم من الثقافات والاديـان ، وان آراءهـم وآدابهم وعلومهم نبتت وحدها من عقول عربية ، من غير ان تغذى بغيرها.

فقد راينا انهم ـ حتى في جاهليتهم ـ لم يكونوا بمعزل ، وانهم كانوا بعد الاسلام اكثر اتصالا والتحاما وعلاقة . ولا يقدح التبادل الثقافي اية امة ، فالعلـم ملك شائع ومرفق مباح يغترف منه الناس جميعا ، وليس له حدود فاصلة كالتي ترسمها السياسات ، وانما الذي يقدح في الامة حقا ان تغمض عيونهـا ، وتسد ءاذانها عما حولها من نظريات وافكار ، او ان يدفعها التعصب الاعمى ان تنسب لنفسها ما ليس عليها ، وتعزو اليها خلق ما لم تخلق ، وابتداع ما لم تبتدع . كما على الامة أن تبحث عن تراثها، ولا تتهاون فيه ، وتحافظ عليه ، فهو الذخيرة الدسمة والمجـد الاثيل الذي عليها ان تبقى عليه .

ولشدة الارتباط الوثيـق بيـن الادب العربـي والادب الفارسي الاسلامي في العصر العباسي غـدا لزاما على دارسي الادب العربـي من الفـرس دراسة الخطوط العريضة على الاقل للادب العربي ، واصبح من الضروري لفهم الادب العباسي العربي تفهم الثقافة العربية التي كانت مفرغة من ارض الجزيرة العربية شرقها وغربها ، او مستقاة من الامم المجاورة ودراسة تطور الادب الفارسي لمعرفة الجديد في ادبنا والجديد في ادبهم .